

ج. پ. كلارك أغنية ماعزة

هذا هو الفصل الاول، او «الحركة الاولى» كما يسميها المؤلف، من مسرحية «أغنية ماعزة» التي تجري أحداثها في إقليم الدلتا في غربي نيجيريا. زيفا صياد السمك، فقد قواه الجنسية وامتنع عن معاشرة زوجته ابيره. تذهب هذه لاستشارة المدلك، «طبيب» الناحية الشعبي الاعرج. ويبلغ بها اليأس حد اغواء طونيني، اخي زيفا الاصغر. وعندما يطلع زيفا على ذلك يحمل اخاه على شق ذاته، وبعدها ينتحر هو غرقاً.

المدلك : رَحْمُك مفتوحةٌ ودافئةٌ كحجرة :

ينبغي ان تتسع لكثيرين .

ابييره : يبدو ، في الواقع ، انها ستبقى خالية .

المدلك : المنزل الحالي شيء خطر ،

يافتاتي . ان لم يقطنه الرجال

قطنه الوطواط والعشب ، وهذا

انذارٌ باشياء اردأ تأتي من بعده .

ابييره : الذنب ليس ذني . انا ابقى منزلي

مفتوحاً ليلاً نهاراً

لكن سيدي يأبى الدخول .

المدلك : لماذا ؟ من يصدّه ؟

ابييره : انا لا اقف في طريقه .

المدلك : قدماي متناقلتان ، لكن عقلي غير متناقل ؛

انه رشيق كاللحل .

ابييره : قلتُ ان منزلي مفتوح بابه .

المدلك : استطيع ان ارى ذلك . اخشى انه مفتوح

اكثر مما ينبغي . ان مجرى الهواء قد يحلّ فيه في اي وقت

الآن . فليدخل الرجل ويحمل معه دفاه .

ابييره : انا طبعاً اريد دفاه .

المذلك : اذا فالذنب ذنبه ؟

ابييره : ارجوك ان تسأله هو ، لعله يجيب .

المذلك : ألدبه منزل في مكان آخر ؟

ابييره : لا .

المذلك : انه ليس عاجزاً باي شكل ؟

اراك تلتفتين بوجهك نحو الحائط . نلك

امارة الموت ، يا فتاتي .

ابييره : آه كم اتقى لو اموت ، لانهي كل

هذا العار ، لانهي عرضي لجاراتي

بدانتي بينا لمي ميّت جوعاً !

المذلك : هذا شيء فظيع ، يا فتاتي ، ينبغي الا

يعرف به احد . وكنت اظن ان هراوة شديدة

في متناول يدك لتتمسكي بها فقسندك .

ابييره : ليست هناك ، ليست هناك ابدا

بالرغم من شدتها وحجمها .

ليس في الهراوة الشديدة اي حياة .

المذلك : متى اكتشفت انه تنقصها

معجزة انبات اوراق خضرٍ وثمار ؟

ابييره : بعد ذريقي الاولى والوحيدة في منزله .

المذلك : ومنذئذ لم تقعلي شيئاً ؟

ابييره : وما الذي استطيع فعله ؟ ظننت انه مراعاة

لي ليس الا . فانا قاسيت

كثيراً في ولادتي لابني .

المذلك : اجل . ان بوابتيك على حالهما

اذ ان حارسها لا يقوى حتى على لمسها .

لا بدّ لاحدٍ ما ان يدخل والا فانها ستصدّان .

آ ، لا ، لا ، لا ، ليس هذا !

المذلك : نعم ، نعم ، لا بدّ من هذا . ايعرف والداك بهذا ؟

اببيره : لاسم لا اريد ان اسمي اليه ، انه طيب جدا
معي ؛ وفوق هذا ، كيف سيكون رد فعل امله
واهلي انا ؟

المذلك : هذا صحيح ، يا طفلي ، لكن
رغم هذا كان ينبغي ان تطلعي اهلك .
ليس عار في ذلك . لقد جرت
اشياء اسوأ فيما مضى . فالنمرة ايضا يعثرها الشلل .
ودعني اخبرك ، يا طفلي ،
ان لكل علة تصيب الرجل
ورقة شجر في الغاب . ان كانت الاسرتان
تتبادلان الشعور بهذا الود الكبير ، فسيكون
حسناً ان يخوّلك زوجك
لرجل آخر في اسرته .

اببيره : كيف تستطيع ان تقول شيئاً كهذا ؟

المذلك : اعرف ان فكرة كهذه لا تستهويك .
استطيع ان افهم ذلك .

فالواقع انك قد انطلقت لتوّك
في فجر الحياة الندي والضباب ساجد كله
على الارض امامك . لكن عندما ترفع الشمس
فسترين بوضوح اكثر . ينبغي ان يخوّلك
الى اخيه الاصغر . هذا سيربط العقدة
من جديد ، ولن يكون قطعاً للعقدة
او ارخاء لها .

اببيره : ذلك سيكون فعل موت ،

وهو ما يمنعك الاموات عن التحدث عنه .

المذلك : افهم

شعورك ، افهمه بالتّام . لكنك

ما تزالين فتية كما قلت ، ولا

تعرفين عادات بلادنا . دم معزى

كبيرة بحيث تدخل ودعة عبر انفها ،

قربة كبيرة من نبيذ البلح ، وثلاث حبات من
جوز الكولا مكسورة امام اموات
البلاد ، ويتم ما ينبغي فعله .

ابييره : اتركني ، اقول لك ،

ابعد يديك الموحجتين عني . لن
البث هنا اطول لاسمع مثل هذا الكلام .
ان رأيتني على عتبتك مرة اخرى ، فادعني
حقاء بحق زيفا الذي ارسلني اليك
طلبا للعلاج يعرف انه غير ضروري .
هوذا قروشك . والآن دعني امر .

المدلك : لا يبلغ بك الغيظ هذا المبلغ ، يا طفلي ، انا جاد
في اقتراحي ، وهو ليس اسوأ الاقتراحات .
(تخرج ويدخل شخص آخر مسرعا)

زيفا : ابييره ،

كانت هناك قبل لحظة . سمعت تنورتها تخشخش
في الريح وانا داخل ، لكن عندما ناديتها
همد وقع خطاها على العشب .

المدلك : أنت زوج التي انطلقت راكضة الآن ،
يا بني ؟ لقد سمحت لتلك القطعة من التربة
الخصبة المعطاة لك بان تبقى بلا زرع
وتنمو بها الحشائش المتعالية .

زيفا : ما الذي تعنيه ؟

المدلك : بوسع كل امرئ ان يرى سنابل العشب
وشواشيها من بعيد .

زيفا : أقلت لك شيئا ؟

المدلك : لا تخف ، يا بني ، لم تقل المرأة شيئا .

الا ترى ان العشب كله

قد تفاقم جدا ، وانه عندما تعصف الريح
قد تأكله النار وإن تفرش من فوقه
عباءة الندى ؟

لستُ طفلاً فاشعل النار : هنا :

بارضي كيما تخدمها طيور الفضاء
وتلتقط أكلها .

لقد فعلت ذلك ، وليس الذنب ذنبك ، : لذلك :

لكن كان عليك ان تطلب النجدة .

تتكلم عن النجدة . اي نجدة يستطيع المرء ان ينتظرها : زيفا :

اذا كان في موقفني ؟ ليس احب

على الناس من ان يعملوا مخالفهم في

كما تعملها الطيور في دودة تتلوى في الوحول . ماذا ،

أظهر ذاتي بركة جفت تماما

من الماء ، فتفلع قهقهاتهم

ارض كياني ؟

كل هذا حماقة ، يا زيفا . ليس ثمة : لذلك :

رجل بنى قط بيتا او عشب

قطعة ارض وحده بدون مساعد . كان ينبغي

ان تطلب العون وانت في ورطتك .

هذه ورطة : زيفا :

لا تليح اي عون .

ولن اكون رجلا

يفتح ذاته ليدوس فوقه الآخرون .

اذا فهي المرأة التي ينبغي ان تتحمل : لذلك :

الاهمال والتبذير ؟

على المرأة ان تنتظر . قد يرجع : زيفا :

هذا الشيء في اي يوم ، من يدري ؟ الامطار

تهطل انسى تشاء .

لقد انتظرت طويلا ، : لذلك :

طويلا في الرياح العاصفة . ها الامطار

هنا من جديد والغابة اخذت

تتبلل . والارض سترتدي عما قريب ثوبها

الاخضر ، وستعبث الريح بوجنتها المتوردتين

من الفجر الجديد . أستترك المرأة
تنتظر ساكنةً والعالم كله يتحرك
بالبدور ويعروه الطيش لانسياب العصاره ؟

زيفا : اعرف

كل هذا . ومن اجل هذا احاول ان اشحن
سيفي على حجر الصوان كيما اعشّب الارض . أنا
الموم 'لاني لا استطيع ان ارفع يدي البدون حياة ؟
المذلك : فيضانات ثلاثة قد مضت على رجائك .

زيفا : اجل ، اجل ، هذا صحيح جدا ،
اعترف ان الامر كان هكذا طوال هذي الانهارات العديدة
للفيضان ، مع انه عندما قام فيضان جديد ارتقع قلبي
معه لكنه خُلف على الارض من جديد .

المذلك : حتى متى سيبقى الرجاء ؟

زيفا : لن اتنازل عن قطعة ارضي !

المذلك : يتعلم المرء ان يستغني عن الاقنعة التي لا يستطيع
ان يلبسها بعد ، وتنتقل الى مَنْ هم بعده .

زيفا : ما الذي تعنيه ؟ لا استطيع
ان اتبع مجرى كلامك .

المذلك : في وضع

كوضعك قد يقنع المرء بالانسياق مع التيار كما تفعل
حشائش الجدول . لكنه لا يبتعد كثيرا
جدا ، لان التيار يرقدّ دوما عليه .

زيفا : ما الذي كنت تقوله

لزوجتي ، ايها الرجل ؟ لقد ارسلتها اليك كي
تدلكها ، لا كي تقلبها ضد زوجها .

المذلك : هذا ما تظنه ، ايها الشاب . ان تمسكت

زوجتك بالامانة لحد الحماقة ، فهذا

شأنك وشأنها . لكن لماذا توجب عليك

ان تبعت بها الي لاعطيها علاجاً لتلد

في حين ان النقص ليس فيها هي . سواي

كلوا ليأخذون الاجار منك ، ربما ، ويوافقون على اعانتك
في ابقاء الرماد فوق العيون . لن اكون
واحدا منهم . ماذا ، أترك الناس يظنون انها لم تستطع
ان تستجيب حتى للمسة اصابعي ؟
فكّر ،

يا رجل ، ان فيضانات ثلاثة قد مضت كما قلت انت نفسك
كان على سواها ان ينتظرن زمنا اطول . ان زوجة
أوغون معروف انه كان عليها ان تنتظر سبع سنين
كيما تنجب طفلا . وفي هذه الاثناء قد
استعيد قوتي .

المذلك : لا ، هذا ما اخشى
انك تخطيء فيه بحقها . ان أوغون لم يحجم
قط عن فلاحه الارض
التي كانت له . لكننا ، في حاله هو ، لم تكن الارض
تنبت شيئا . فانا اذكر ما جرى
بتمام الوضوح ، اذ كان عليها ان يستدعياني
لازيل اللعنة التي انصبت عليها . وقصصت
اثرها الى اسفل شجرة في
الطرف الآخر للغابة الشريرة ، وهناك
فُرِّغَ الحقل ودُفِنَ
في شق شرشين توأمين .

زيفا : كيف لا اذكر !
مشت البلدة كلها في اثرها وهي ترقص في مشيتها
الى جذر المشكلة واصلها . ابقتنا نحن الرجال
ندق الطبول اليوم كله ؛ اجل هذا ما فعلته . لكنها في النهاية
وضعت طفلا .

المذلك : وتبين انه
طفل صحيح سليم جدا . كان يستأهل الانتظار
مدة ايام عديدة . وما زالوا يحضرون لي
كل موسم هدايا من اليام والسلك .

زيفا : آه ، لماذا لا يتيسر لنا نحن الرجال
علاج كهذا ؟ اني لاعطي الآلهة واجدادني

اسمن ثور في البلاد ان عدت
القهقري واقصيت عني لعنتي .

اريد ان يكون لابني اخوة

واخوات . ليس صحيحا انني لا اعبأ .

المذلك : استطيع ان ارى انك تعباً فعلاً . ليس من

لا يستطيع ان يرى ذلك . انت تشتري لزوجتك اجود
الحرير ، وتصدق لها احسن الذهب ،

وليس من لا يستطيع ان يرى انها تنال خير طعام .

غير اننا نسمن فتياتنا كيما نعدهن للانمار ،
لا كيما نحرمهن .

زيفا : انا لا احرمها ؛

اني انا الذي يصيبني الحرمان .

المذلك : اذا فما الذي تقترح ان تفعله ؟

زيفا : لقد ذهبت الى جميع الخبراء ما بين المستنقع

والرمل . لم يستطع أيهم جميعا

ان يفعل اكثر من ان يقترح ان اتقبل لعنتي واتكيف معها .

اللعة ! ان ابي الذي لم يكونوا

يجرأون على البصق عليه وهو على قيد الحياة ميت

ويرقد في الغابة الشريرة . ألم يكن

ذلك عقابا كافيا ؟

لقد استعدتُه ، بالطبع ،

للبدة كي يتمكن من تقبل الذبائح

زمن الاعياد .

المذلك : افكر في بداية الرجل ، في نهايته ،

ويقتسع رأسي كثيرا . لقد عرفته جيدا

ان كان في الارض كلها قاتل

للسمك وآخر للسلاطعين ، فقد كانا

هو وانا . اسأل اي امرئ في الانهر

السبعة كلها .

زيفا : أنا الملووم

ان كان لم يأت لشباكه غير السمك ؟

المذلك : لا بالطبع . لقد فعلت ما كان

ليفعله اي ابن مطيع عندما اعدته

لبيته بين اهليه .

ربما بكثرت قليلا بهذا

لشخص مات باللوثة البيضاء .

زيفا : ومن اجل هذا مصمصوا لمحي

حتى العظام ، كما تفعل الاسماك لجثة طافية .

يتذمر آخرون انه كان في زمن

الفيضان . سيكونون على اتم الاستعداد جميعا الآن

ان يضحكوا ان سمعوا اني قد صرت

مستنزفا من رجولتي .

المذلك : لقد صنع الله شجرة

الآبا مستقيمة ومنتصبه .

زيفا : لقد سمعت

هذا الكلام كله من قبل . ما اريده

منفذ ما ، طريق ما تقودني

خارج هذه الرقعة المحروقة من الارض

المذلك : هنالك منفذ حدثت زوجتك

عنه قبل قليل .

لكنك شهدت بذاتك ، شهدت الآن كيف كادت

الدجاجة تهدم البيت برف

جناحيها . فاذا رفرف الديك نفسه ، ربما

انهارت الجدران ، وانا طاعن في السن فلا

استطيع ان ابدأ ببناء السقف من قش اخضر لشعري الشائب

زيفا : اسمعني ما قلته .

المذلك : لا ، من الافضل ان تذهب

اليها اولاً ولا ترفع عالياً جداً

قبرتك . فالمرأة المسكينة في حال تفكير .

زيفا : لا استطيع ان انظر اليها واضع عيني بعينها ما دام
سرنا قد انكشف .

المدلك : ان سرنا لم

ينكشف وسيظل محفوظا .

زيفا : بعد هذا سيقول كل واحد - انظروا

هوذا الديك بقنبرة حمراء متوهجة

لكن المس الشيء وستجدونه

ابرد من انف الكلب .

المدلك : لا حاجة لك

بان تعذب نفسك ويصل الغيظ بك هذا الحد ، يا زيفا .

وما دمت قد تعرفت اليك ، فلأقل لك

اني دلكت اباك عندما كان

كلانا لدنا وقويا معا وبوسعنا

ان نقذف في ساحة المصارعة

باي متحد . في كل ذلك الوقت لم اطلع

احدا على سر آخر . ولماذا

اطلعه على سرنا ، انت الذي ساعدت على احضاره لهذا العالم

والذي احب ان اراقب حظه في الحياة

كما يراقب اب حظه ابنه .

زيفا : ساحني ، يا ابي ،

ان التفكير باشيء كثيرة جدا يبعث

في الجنون . لا اريد ان يتم بيني وبين زوجتي

الفراق . هي ذاتها لن توافق عليه .

المدلك : كيف تعرف ذلك ؟

أفكرت قط انه ينبغي لشخص آخر

ان يضطلع بفلح التربة

الخصبة ، فقدفتك بوحل مبلل ؟

زيفا : ايها الشيء الاعرج ، يا قطعة تدب

من اللحم الذابل لها روح كروح افعى ،

أأسحقك بين راحتيّ وامسح
الارض بوجهك ، ايها الاضعف
من طير الارض الذي يمرّغ منقاره في التراب بعد الاكل . أألوي
رقتك المصنوعة من الليف ؟ كيف تجرؤ ان تقترح
عليّ شيئا كهذا ؟ اني قوي
وما زلت حيا ، وهل تجرؤ ان تفتح فمك
القذر لتقترح ان ارهن ارضي ؟

الملاك : ان الغيظ يتآكلك ، ولكن وان

سحقتني ، انا الكسيح ، بين يديك
القويتين ، فان هذا لن يحل مشكلتك . ما
أقترحه لم يمنعه آباؤنا حتى في ايام
القدم . الا ترى ان فرس النهر يحتاج
للزورق ، ويحتاج للمجداف ايضا .

زيفا : ايها القاذورة ، ايها الروث ، ايها الادم المقطّر عند الظلام ! انا
فرس النهر ذاك . أبصق ، لكن البصقة تسقط
على رأسي .

الملاك : لا سمحت الآلهة . اعرف

انك منهك كثيرا ، يا بنيّ ، لكن ذلك
لان هذه اللعنة منصبة على رأسك .
حقا ان عليك ان تذهب الآن وتفكر
باقتراحي . التربة مقدسة

ولا يحق لاي رجل ان يتصرف بها لوحده . ينبغي
ان تجتمع معا اسرّا كما
وتستعرض الامر .

زيفا : وهذا كل

ما تستطيع ان تقدمه من مساعدة ؟ يقولون ان الخشب
المعوجّ يعرف الناحت البارح .

الملاك : ليس عندما تكون الشجرة

قد تيبّست ، يا بنيّ .

زيفا : آه يا ابيره ،

يا زوجتي ، يا زوجتي . أهذا ما وصلنا اليه ؟
وماذا سيحدث لي ؟
طبعاً ، عليهم ان يقتلوني أولاً .

المذلل : لا تفكر

بالامر بهذا الشكل ، يا بني . البعض يفلحون ، لكن على
سوامهم ان يمسكوا الطير والسمك . لكل نصيبه
واغنيتة الخاصة .

زيفا : سأموت أولاً .

المذلل : لا ، هذا كلام اطفال . حتى انا ،

الكسيح باكثر من شكل واحد ، اعيش
وارجو ان احقق مأرباً لشعبي .

لماذا تتحدث اذاً عن الموت ؟ على المرء

ان ينفق أولاً كل شيء قبل ان يتكلم عن العودة

الى منزله . عد اذاً لبيتك الآن والى زوجتك

وتصرف حسب هذه الامور .

زيفا : من اجلها ومن اجل كل شيء

احيتك ، وأذهب الآن .

المذلل : اذهب اذاً ، يا بني ، وليحمك

الآلهة والاموات .

زيفا : لتبقى بخير ، يا ابي ، ولا تنسني عندما

تقدم لهم تقدماتٍ وضحايا .

المذلل : يقيناً لن انساك في صلواتي .

هوذا رجل عميق وهائج

كنهرٍ تحت ارض . عساه يُبقي

الغطاء مسدوداً على زوجته فاني اخشى

انها قد بدأت تتبرم . آه ايها الاموات

والراحلون ، خذوا شحمكم واللحم

ولكن ابقوا لنا جلدنا والعظام .